عسكرية يهودية ، حتى تتمكن من صد غارات العدو[٧].والغريب في الامر ان هذا المفكر الاشتراكي السابق لا يستنكف يعبر عن آرائه الاستعمارية ودعواته الكولونيالية بصراحة وفجاجة ، ولا يخفي انتماء فكره ودعوته الصهيونية الى حركة الاستعمار الكولونيالي الشاملة في تلك الفترة ، فهو في خطاب مؤرخ أول ديسمبر ١٨٦٥ موجه الى دنير Dunner الحاخام الاكبر لامستردام يسرد تصريحات كبار الشخصيات الاستعمارية والمالية التي ترتبط بالاستعمار الفرنسي للجزائر ، والتي تبدي فهمها واستعدادها « للنظر بعطف » على حد تعبيره — وهي تقريبا عبارة تصريح بلفور سنة ١٩١٧ — في انشاء مستعمرات يهودية في فلسطين ، وفي المنطقة المحيطة وخاصة بالقرب من قناة السويس . ولا شك أن في هذه الافكار ارهاص بمشروع تشمبرلن الخاص بالاستعمار اليهودي للعريش سنة ١٩٠٢ ، حيث حصل ديلسبس على اراض واسعة من الخديوي[٨] .

وهس عندما ينادي بهذا الحل ، يتوجه به اساسا الى « اليهودية الشرقية » حيث ان اليهود الغربيين يندمجون « ويحسون احساسا طيبا في البلدان التي يعيشون فيها منذ مئات السنين » وكذلك فهم يرفضون الهجرة الى فلسطين . اما جوهر مشروعه لتحقيق الاشتراكية !! وانقاذ اليهودية الشرقية كما جاء في « روما والقدس » فهو « الاستحواذ على ارض قومية مشتركة هو الامل الذي ينطوي على الشروط الضرورية للعمل على تأسيس مجتمعات يهودية للزراعة والصناعة والتجارة وفقا لمبادىء اليهودية أي مبادىء الاشتراكية . تلك الاسس التي تستطيع بفضلها اليهودية الشرقية أن تخرج من صناديق القمامة . وتقود شعلة الوطنية اليهودية ، وتنقذ اليهودية باجمعها »[٩] .

مرة اخرى بغرض السؤال نفسه : ما هو السبب الحقيقي لهذا التحول العميق الذي طرأ على هس وامثاله من صفوف القوى الثورية الراديكالية الى صفوف العنصرية الكولونيالية ؟ ! هذا الانقلاب بلا جدال هو ثمرة الظروف الاوروبية ، ولكن ليس بالمعنى الذي يريده المفكر الصهيوني هرتزبرج ، بانها ثمرة طبيعية ، وانها ابنة ظروفها ليعطيها شرعية ودعما وعمقا ، بل هي الابنة غير الشرعية لحضارة العصر الاوروبية ، هي الوليد غير الشرعي ولقيط الطبقات الرجعية العرقية الاوربية في ذلك العصر ، بمولدها وتبنيها ، وهي تتأثر بالفعل وبالفكر القومي في ذلك الزمان ، ولكن بالقومية الرجعية الشوفينية والعرقية ، وهي تيار من تيارات هذه القومية الرجعية ، وفرقة من فرقها ذات التطلعات الكولونيالية ، وكل ما هنالك انها وجدت في التراث اليهودي التلمودي والعرقي جذورا وارضا تقف عليها ، وفي مناخ العصر الكولونيالي الامبريالي ، هواء تتنفس وتتغذى به وتنمو[١٠] .

هس الاشتراكي

تاريخ هس كرائد من رواد الاشتراكية الاوروبية يستحق وقفة تأمل ، فعلى الرغم من أن ماركس وانجلز يعترفان ان له الفضل والزيادة في هذا الميدان ، الا انهما في الحقيقة وضعا ايديهما منذ البداية على جذر الانحراف الفكري البوتوبية الرومانسية التي ستؤدي به في نهاية الأمر الى الردة والضياع . لقد بدأ اشتراكيا ، ولكنه لم يكن ماركسيا قط ، وانتهى عرقيا . وسنرى في مجرى تفكيره كيف يتوه الشراع ويتقلب تحت وطأة أنواء العصر .